درس الآداب العربية الحديثة

« مناهجه ومقاصده في الحاضر »

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ ردح من الدهر يزيد على ربع قرن وانا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات جمة اما خارجية عن الموضوع واما داخلة فيه ولست أعرف أيهما كان اكبر عقبة لدرسي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن ينابيع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلهـا وحدهم خزنتها ومادتهـا فاني لم أزر اما كن النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر الا مرة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحرب مواصلاتنـا بتاتاً من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ تقريباً . وماوصلني طول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لايروي غليلاً ولا يغني فتيلا . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي على خزانتي الخاصة فقط وقد جمعتها بكدّ النفس وصرفت عليهـا من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزائن الشهيرة في بلاد العرب ولا سيما معاشرة أفاضلها وأساتذتها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانيـة ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي وندرة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطبعات المحصحة لتآليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الاوربية . ومهما يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في بحثي ودرسي راجياً ان ينتفع بثمار أتعابي من يسير على آثاري .

ولقد تراكمت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطرحها على بساط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر . فصاحب البيت بالطبع أدرى بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته .

ولسائل ان يسألني لما ذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب . فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينهما في منهج درسهما لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد . وهذا مما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بحالة الدروس الادبية في الغرب . وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مهيعاً فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق . فترى في كل البلاد المتمدنة خزائن الكتب والمخطوطات المرتبة المنظمة . والقاهرة او بيروت اودمشق من أحسن الدلائل على علو الهمم في ادارة الامم . وقد جمعت هذه المجموعات طرفاً حسناً من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب . اما فهارس المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية . وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الجلبي الذي لم يكن يخطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة . ومن جهة الأبحاث المخصصة لا تضعف همة الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها نعم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس . وكُتُب طه حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز الميمني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة . اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ولا اهتماماً بجمع مآخذها وموادها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لان الفرصة التي تفوت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى .

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المتقدمة ولا فرق بينها . ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي وبخيوط لا ترى ولا حد محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الأطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معينة بل يتدرج عما قبله تدريجا . وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخية حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيادة نابوليون التي جرت على الشرق العربي نتائج جمة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته باوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير الا انها توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا مايدعونا لان نبتدئ بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم ننس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة اوجه تكون مصدر أفكارنا وهي اولاً قلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . وثالثاً تنوع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولا حاجة هنا الى وصف احوال البحث في الآداب العربية الحديثة فانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فان الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه اكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء العادي الذي لا قيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والاثرية تنقب عن آثار المصريين والاشوريين والحثيين ولم نر الا نزراً قليلاً منها خاصاً بآثار الدور الاسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق في ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوعهم الا اختصاصياً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإمعان الا وهو مارتين هارتمان الالماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفماير الالماني . ولذلك نرى في المانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ببعض كتبة العصر او بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب . اما البلدان الاخرى فلا نعرف فيها الا عالماً واحداً ساح وتجوّل في اماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأتعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي . وعلى قلة المهتمين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متأمل ان علماء اوربا في النصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعريفها لعالم العلم والأدب أقوى وأشد فان الاساتذة رينو في فرنسا او فليشر في المانيا لم يفتهما شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة العهد في وقتهما او اعمال المجامع المؤسسة حديثاً . فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها ونقدها . اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الأدب وآثاره فلا يسعنا الا ان نحكم على علماء اوربا ومستعربيها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكا منه مراراً الاستاذان كامفماير وجيب .

فلو رجعنا بعد ماقلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب لرأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق بقليل لكنها ناقصة من عدة وجوه . ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإجمالية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب . وقد كُتب عنها مايغني عن الإسهاب في هذا المحل . وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدّد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذه . ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن . ولو كمل هذا الكتاب لسدّ ثغراً في معارفنا بيناً . ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الاوربية إجمالاً . اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غاية ما يطلبه الآن المنهج العلمي الدارج في اوربا . ولا نستثني من ذلك الا شيئاً يسيراً كأبحاث السيدة (مي) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية اوتاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها . اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية او تقاريظ دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع مرور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الايام وان كانت في بعضها موادّ للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي .

هذه الأحوال التي نشاهدها في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم باحث يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه الى ان لا يضيّق حيّز بحثه بما تحتويه اللغة العربية بل يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وان كانت بعيدة عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها او تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان نافعاً ومناسباً للغته وآدابها . وللحقير من هذه الجهة مركز خاص ربما يجعله أسعد حظاً من علماء اوربا في الممالك الاخرى . فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها النظر بين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تآليفهم من أحسن ما كُتب في هذا الموضوع في عالم العلم . وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم تبتدئ درس آدابها الا من عشرات من السنين وبين يديك لغة الروسيا البيضاء وآدابها وهي وان كانت عريقة في القدم لم يبتدئ طورها الجديد الا منذ نصف قرن ولم يبتدئ درسها المرتب العلمي الا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقي التمدن في الروسيا البيضاء التي تحوّلت حديثاً الى اكاديمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء . ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المهتمة تجمع كل ما له ادنى علاقة بالموضوع وتدوينه وترتيبه وإعداده للدرس العلمي . ولا شك ان تجارب هذه الأمم ودوائرها العلمية مما يفيد كل عالم مدقق يحب ترويج الدروس في تاريخ آداب لغته من اي بلد اولغة كان . خصوصاً علماء العرب او المستعربين الذين ليس للغتهم أمثلة هذه الدوائر اوالاهتمام بالمناهج الراقية .

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره . ولسنا نطلب من كل باحث في تاريخ الآداب ان يكون له اقل إلمام بكلّ من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها لان هذا يحتاج الى وقت طويل ودرس خصوصي لا يحتمله الا علماء النظريات . ومما لا شك فيه ان الباحث الذي يريد ان يكون عمله على مستوى ماتطلبه حالة العلم الحاضرة لا مندوحة له من ان يتعرف الى بعض التآليف البارزة التي تعد من أجمل الأمثلة في لغاتها . هذا أقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه ويتمكن في طريقه السديد . اما المناهج التاريخية الادبية فكثيرة في اوربا الحاضرة منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن او علم الأخلاق او علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعاً لدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي تُعنى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنيـة . ولسنا نعني بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الادبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كاتبه كالجزء الذي لايتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل تقلباته وان يدرس بيئته التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها او الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يجعل نقطة الدائرة درس صورة التـأليف وأساليب المؤلف الفنيـة وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيلاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنها وقافيتهـا او المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا يخفى على احد ان هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربيـة منذ القديم ولكن استعمالاً سطحياً لم يعنَ لفكر الباحث الا بالصدفة او تواتر الافكار بدون سابق المعرفة بتجاريب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجينا من غلطات المتقدمين ولا يوقعنا في الورطة التي وقعوا فيهـا . ولا حاجة لنا الى التعمق في المجادلات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقاتها وتهافتها — المجادلات التي تكثر في الدوائر العلمية الاوربية . لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف في استعماله ولا يضيق بحثه بحدود ضيقة ناشفة . ولا ننسى ايضاً ان تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أحوج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام تافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيداتنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لايخفى على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمان : اولها جمع المواد ثانيها ترتيبهـا واختيارها وثالثهـا الدرس بمعناه الخصوصي وهو يحتوي خلا نقد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة او نظر إجمالي او تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه وهلم جرًّا . ولا يخفى ايضاً ان هذه الاقسام او المراتب باقيـة هي ذاتها في عمل شخصي او في اعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب او الدائرة الـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أنشئت بسببه . وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى . ولنا ان نسأل اولا ما ذا عُمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد . وقبل ان نتعمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مآخذه او بنابيعه كما يقول علماء اوربا . ولسنا نعني بالمصادر كلّ ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل وكل ما كُتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تآليفه من انتقاد وتذكار ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آلاته كقلمه او دواته او كرسيه الذي كتب كُتبه قاعداً عليه . بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخييل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية . ولا تنحصر المآخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجمع كل ما كُتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة . هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرتين شاعر فرنسا الشهير ذكراً لناصيف اليازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا نتصوره . وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عيّاد الطنطاوي في يوميات فالّين السائح الفنلاندي تصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج . ويلزمنا ايضاً ألاّ يفوتنا شيء من آثار لها علاقة بالمؤلف فالكتابة على قبر الطنطاوي مثلاً أوضحت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يختلف عما في الأوراق الرسمية .

ومما تقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم . وان خزائن الكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تآليف المعاصرين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب . وليس من المجاميع على ما نعلم الا مجموعة واحدة تستحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أيدته في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من المانيا . وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشروح آنفاً . وليس من الحكمة ان ينحصر مجهودنا في الاعمال الشخصية فقط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد ببث الرسائل الخصوصية ونشر الاعلانات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكرات من أفواه معاصريه . ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضاً الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس مايوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة .

ومما لا شك فيه ان كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللائحة المخصوصة المرسومة بايدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لهم إلمام بمناهج البحث الأدبي التاريخي . ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي يهم العلم جمعها ودرسها وتذكر ايضاً المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التآليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي يهم درسها وتوضيحها . وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة .

بجمع المآخذ يتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية . وهذا العمل الشاق متنوع تنوعاً ليس باقل من الاول والتالي . ولسنا نعني به الفهارس البسيطة السطحية أمثال فهارس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعني وصفاً دقيقاً علمياً يصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً يفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر . وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في المحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غريبة ومجلات متنوعة في اللغات الغربية . مثال ذلك ان مكاتيب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنغفورس عاصمة فنلاندا وبعضها في فارزان عاصمة الجمهورية النتارية . ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تآليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسعه علم عالم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب .

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الاولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف سركيس والزركلي الشهيرة ولكنها لا تمثل الا خطوة اولى في هذا الطريق و يجب تدقيقها وترقيتها لكي يصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلمان الألماني عن الآداب العربية في القرون الوسطى . ومن العدالة ان لا يختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصرونا الاحياء ممن يكون لهم شأن في المستقبل . وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال اللوائح المخصوصة المشتملة على الاسئلة المعينة على نحو ما عمل و ينغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمتن أساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة . ولنا مثال أقرب من هذا في سعي كامفماير العالم الالماني المذكور وبنشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة باقلامهم إجابةً لسؤاله وكل ذلك من أوثق المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة . ومن قبيل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة العرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا . وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتبة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء تتلاشى بمرور الايام . وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زينب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد حسين هيكل فلا يتيسر معرفته لابنائنا ان لم نثبت هذا في كتاب ما . ومن قبيل الاعمال الاولية ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتب فيه او طُبع في وقته . وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقييد ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيما بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد . وهذه الفهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يعسر الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين .

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتبة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المتفرقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد . وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده فالطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بقيت الى يومنا وحسب كل طبعات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يعرقل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق جمة وقت ترتيب المواد لنشرتنا المنتخبات العصرية لاننا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل في كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي وكتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يكون اساساً لدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع محاتها او ايضاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقاً بالحواشي والشروح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه وتبين له كل جليلة ودقيقة تستحق الذكر . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة . لذلك يهم الاعتناء بحسن حروفه واتقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحتوي ايضاً على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكاتب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما تدخل ايضاً نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المرتبة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج درس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لنا ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدرس الآداب العربية الحديثة وهي المذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية ولا لزوم الى اعادة ما قلناه عن هذه المناهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي ادخل في الدرس وهي اكثر من ان تعد وتحصى . فمن أهم الدروس بحث أحوال العمل وكيف ونظريته في مسائل الآداب ونفسية التأليف وانعكاس بيئته في تأليفه او امانيه فساله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية ففي المحل الاول نحل درس فضائل صناعته او نقائصها من كل وجوهها . ولا يختصر درس الآداب بدرس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضاً كتاريخ الانتقاد الحديث او تاريخ الصحافة وقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أتحفنا فيليب طرازي بنموذج حسن من هذا القبيل . ولدروس هذه المرتبة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة او أفرادها الكرام ولهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روائعه فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن اليازجي والبستاني الكبير وولي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتحفتنا بكتيّب في الشعر النسائي العصري يمثل لنا كبيرات نجومه . ومن هذه الجهة تنفع الدروس كتب المنتخبات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تآليف العصر وكنا نود لو طبعت منتخبات من تآليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوربا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة عجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى نتيجتها النهائية وهي جلية لكل متأمل جلاء واضحاً ونقول لا يسع عالماً واحداً مهما علت همته اوقويت قريحته اوحسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الاعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأينا . فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولاهما المتحف الخصوصي الحالي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت بوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الروسي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق ببوشكين فقط بل و بسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً منها قسم الكتب الجامع لكل الطبعات من الشعراء والكتبة الروسيين وكل ما كُتب عنهم من انتقاد وتاريخ حياتهم وتذكرات معاصريهم ومجلات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاوي تركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكاتيبهم منهم واليهم . ومنها المتحف بالمعنى المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصاوير تفسر حياتهم وتآليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهارس كل ما هو معروف عن الكاتب المفرد وتآليفه ووقته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له همة في ذلك . ووصف هذا المتحف بكل دقائقه يطلب محلاً واسعاً ويحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألّف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسوية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن المتحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك نقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدرس الآداب حسب الاوجه الثلاثة المشروحة آنفاً وحسب اللائحة المفصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالإنستيتوت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسماً منه يهتم بدرس الآداب العربية الحديثة خصوصاً . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل امعان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استحسان بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا بثه وسرده وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسنى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل المجهود من العلماء المجتمعين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكمت لدى هذا الحقير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربع قرن . ولأعضاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونلتمس من قراء المجلة الفضلاء الذين لهم اليد الطولى في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليقهم فباصطدام الآراء تنجلي الحقيقة ، وربما نتوفق في سعينا الى ترويج درس الآداب العربية الحاضرة ويكون في ذلك امتزاج همة الشرق وتجاريب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي ضالتنا .

كُتب في أسكي قريم : ا . كراتشقوفسكي
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net